من مآثر نور الدين زنكي العمرانية في حماة

(الجامع النوري)

للأستاذ كامل شحاده

مقدمة :

لم تكن حياة المرحوم نور الدين محمود زنكي (الشهيد)(١) ، حياة جهاد وحرب فحسب ، بل لقد كانت حياة بناء بين البنائين وراع للعلم والحضارة بين الراعين ، فلا تكاد تخلو مدينة سورية من منشآته وعمائره . فثمة مساجد ومدارس وبيمارستانات وقلاع وأسوار وربط وخوانق ابتناها ووقف عليها أوقافاً جليلة دارة تفي بنفقاتها وحاجاتها ولنكتف الان بذكر بعض مآثره العمرانية في حماة .

كانت الحوادث والويلات والهزات الأرضية التي انتابت حماة قد ذهبت بعمرانها وجعلتها متخلفة فترة من الزمن عن ركب الحضارة . وقد أكد المؤرخان (ابن الأثير وأبو الفداء) أن المدينة كانت خراباً بعد زلزال عام (١١٥٧ م - ٥٥٢ هـ) وأن عدداً كبيراً من الضحايا قد هلكوا تحت الأنقاض ، ولكن نور الدين محمود زنكي كان يحكم حينئذ ، أعاد ترميم أسوارها وأبوابها وبعض جوامعها . فثمة كتابة على واجهة جامع الحسنين في أسفل قلعة حماة ، تؤكد ما رواه هذان المؤرخان وتدل على أن نور الدين قد أعاد تجديد الجامع وغيره بعد الهزة الأرضية

---

(١) لقب بالشهيد تفاؤلاً وبقي عليه ولم يبق على غيره ممن قيل لهم بالشهيد من الملوك لأنه ليس كثيره بفتوحاته وغزواته وأوقافه وورعه وزهده وسائر أوصافه ، راجع أحمد تيمور باشا في (التذكرة التيمورية ص ٤٢٨) .

الكبرى المذكورة، فضلاً عن كتابة أخرى في الباب الجنوبي الغربي من المدينة يرقى تاريخها الى عام ١١٦٠ م. تشير الى تجديد البرج الغربي لسور حماة (١).

ومن مآثر نور الدين العمرانية أيضاً، البيمارستان النوري والمدرستان النوريتان الشافعية والحنفية، والخانقاه النورية (٢).

ولكن أهم آبدة (٣) عمرانية من عهده هي الجامع النوري موضوع هذا المقال، فلنلق نظرة طائر على موقع هذا الجامع وريازته وأقسامه وتاريخه وكتاباته.

١ ــ موقعه :

يقع جامع النوري في أروع مكان في حماة إن أثرياً وإن طبيعياً، فهو يقوم في محلة (باب الناعورة) (٤) على الضفة الغربية من نهر العاصي مقابل حي آل الكيلاني من الشرق، في مكان دير قديم يسمى (دير قُزْمَا) (٥). وبالقرب من السراي الأيوبية المعروفة بدار السعادة (٦). ويطل الناظر من نوافذه وسطوحه على بقعة غنـاء سحرية يجري من تحتهـا نهر العاصي مشكلا فيها بحيرة كبرى (أنظر الصورة رقم ١). يقوم الجـامع على ثلاث قناطر مرتفعة تتوضع في غربها، وتطل على هذه البحيرة أيضاً أوابد عمرانية أثرية مثل قصر العظم وقاعة آل الكيلاني، ونواعير ثلاث (هي الجعبرية والصهيونية والكيلانية) لا تزال تطرب الآذان بنعيرها العذب وجرسها الرطب. فضلاً عن بعض بساتين المدينة وحدائقها العامة وحماماتها الأثرية البديعة.

---

(١) Voir Ris, Poulsen et Hammarhaimb : Hama (Les verreries et Poteries médiévales) P. 4 - 5 , Copenhague , 1957

(٢) المعروف اليوم باسم (جامع الخانكان) في حي الباشورة ــ حماة ــ

(٣) ibid, P.5

(٤) هو الساباط الكائن تحت الجامع النوري. والمعروف بقبو البيمارستان، وهو ينتهي بناعورتي الجعبرية والصهيونية.

(٥) أشارت الى هذا الدير وقفية مخطوطة في متحف حماة يرقى تاريخها الى عام ٨١٢ هـ.

(٦) راجع المجلد ٢٣ من سجلات المحكمة الشرعية، المحفوظ في متحف حماة والمؤرخ في ٩٩٣ هـ.

كما يرى الناظر من سطوح الجامع إذا ماتوجه إلى الغرب قلعة حماة الخالدة التي تعود أقدم الآثار فيها إلى الألف الخامسة ق . م .

وهكذا فان الجامع النوري يتمتع بموقع طبيعي وأثري وسياحي نادر المثال ، هو موضع الدهشة والاعجاب من قبل الزوار والسياح . وقد أصاب صاحب (الروضتين) كبد الحقيقة حين قال « بنى نور الدين بمدينة حماة جامعاً على نهر العاصي من أحسن الجوامع وأنزهها (١) » .

أقسامه وريازته :

يتألف بناء الجامع من الأقسام الآتيه :

آ ـ أبوابه : مدخل الجامع الحالي ، الكائن في الوجهة الشمالية ، أحدث في القرن الثامن الهجري ، ويصعد إليه بأربع عشر درجة ، وله ساكف مكتوب ، وكان يتوضع من تحته منهل عام للماء . ولكن كان للجامع بابان عاليان آخران مسدودان في وجهتيه الغربية والشمالية ، لاتزال معالمها واضحة للعيان .

ب ـ صحنه : للجامع صحن مستطيل أبعاده (١٦،٧٥ × ٢٦) م . تستقر في وسطه من الشمال بركة كبرى مستطيلة أبعادها (٩ × ٧) م ، كان يتدفق فيها الماء من ناعورة الجعبرية قبل توقفها عن النعير والدوران منذ عدة سنين ، وأرض الصحن مفروشة ببلاط حجري أبيض تتخلله زخارف هندسية تتألف من ألواح رخامية وبازلتية ونجوم مثمنة وزوايا قائمة متعاقبة .

جـ ـ أروقته : للجامع ثلاثة أروقة من الشمال والشرق والغرب . يقوم الرواقان الشمالي والغربي ، على أقواس يشبه شكلها حدوة الفرس ، وهي محمولة على دعائم مربعة . ويقوم الرواق الشرقي على أقواس مماثلة محمولة على دعائم مربعة أيضاً فضلاً عن عمود مفرد مرمري

---

(١) راجع المقدسي المعروف بأبي شامة في (الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية) مطبعة وادي النيل بمصر جـ ١ ص ٩ القاهرة ١٢٨٧ هـ .

زهري اللون ذي تاج كورانثي جميل [١] (أنظر الصورة رقم ٢) وقد تخللت هذه الأروقة غرف مستحدثة ، فثمة غرفتان في الرواق الشمالي خاصتان بالمفتي وأمين الفتوى . فضلاً عن مصلى صيفي يتقدم هذا الرواق . وثمة غرفة واحدة في الرواق الشرقي ابتناها المرحوم محمد سعدي الكيلاني مفتي حماة الأسبق والمتوفى عام ١٢٤١ هـ ، ويستقر فيها الآن نقيب الأشراف . وفي الرواق الغربي ثلاث غرف أخرى خاصة بطلاب العلم وحفظة القرآن الكريم .

د ـ حرمه : يتألف الحرم الحالي من قسمين : فثمة حرم مستطيل الشكل يمتد شرقاً وغرباً ، بمداه (٢٦،٤٣ × ١٨،٤ م) ، معقود السقف ، مكلس الجدران ، فرشت أرضه ببلاط حجري أبيض . وله ملحق مزدوج مستطيل أيضاً يمتد شمالاً وجنوباً ، بعداه (١٥،٥٤ × ٩،٨٨ م) ، ابتناه الملك أبو الفداء وسماه (الروشن) كما تدل على ذلك الكتابات المنقوشة على عمودي محرابه . سقفه مقبب بخمس قباب كبار مختلفة الشكل والحجم ، فثمة قبتان بيضيتان مستطيلتان . وقبة نصف كروية مضلعة ، وثمة قبتان نصف كرويتين . وأبرز ما في الحرم منبره وسدته ومحرابه وكتاباته . فلنتحدث الآن قليلاً عن المنبر والسدة والمحراب ، لأن كتابات الجامع سنخصها فيما بعد بحديث منفصل .

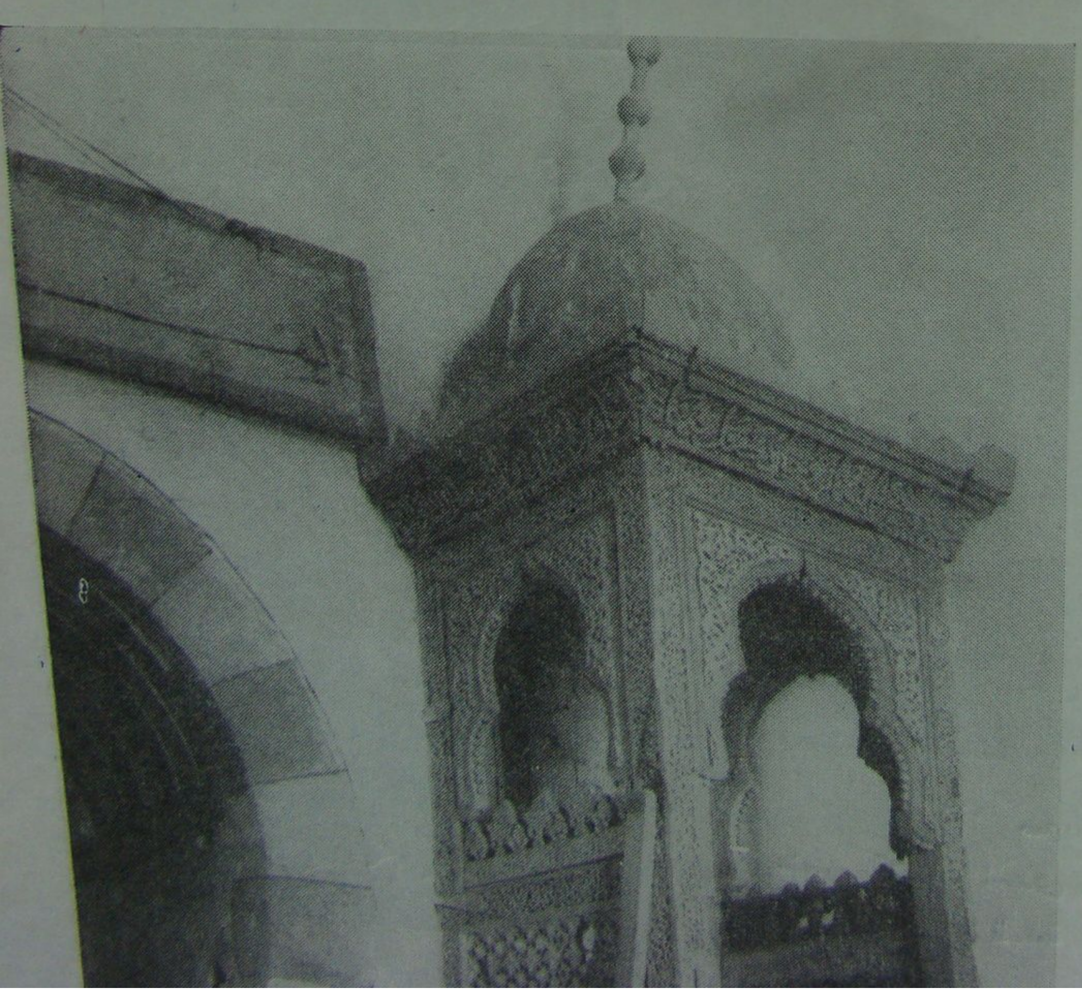
أما المنبر [٢] فهو جميل جدا (انظر الصورة رقم ٣) . يرقى تاريخ صنعه الى عام (٥٥٩ هـ - ١١٦٤ م) . صنع من خشب الأبنوس ، ويتجلى فيه فن النجارة العربية بأبهى صوره وأجمل آياته ونماذجه وأروع خيوطه وتخريماته . وفيه تتمثل جميع أنواع الزخارف النباتية والهندسية والكتابية أصدق تمثيل وأبدعه . فثمة أشرطة قوامها عروق نباتية تتخللها وريقات تبرز جميعها على أساس منخفض جدا . وهي تحيط بلوحات خشبية مستطيلة تتألف كل واحدة منها من صفوف عرضانية ذات أشكال سداسية . ويفصل بين المسدس والآخر مثلثان متدابران . وتشغل سطوح هذه الأشكال والمثلثات خيوط نباتية دقيقة نافرة . وثمة

---

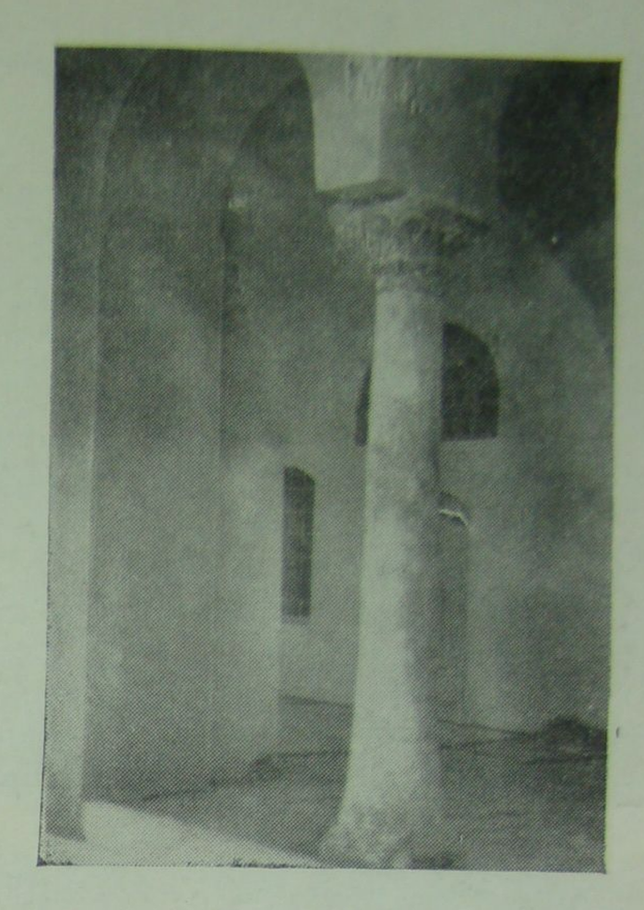
(١) كان هذا العمود غير ظاهر للعيان حين ضم جزء من الرواق الشرقي لحرم الجامع ، ولم ينكشف إلا منذ عام ١٩٦٠ حين أعيد ما استحدث من قبل إلى حاله الأولى .

(٢) Voir Ris, Poulsen et Hammarhaimb, P. 5.

رقم (١)
مع النوري
وبحرة ماء
ي وناعورتا
الصهيونية

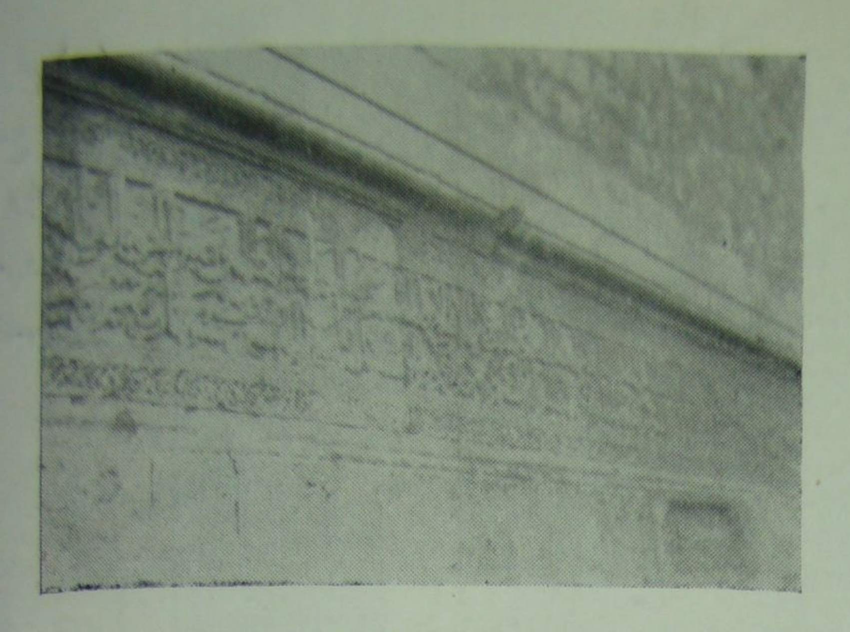


صورة رقم (٣)
بر الخشبي الجميل في حرم الجامع النوري



صورة رقم (٢)

عمود وتاجه المرمري الكورانثي بالرواق الشرقي



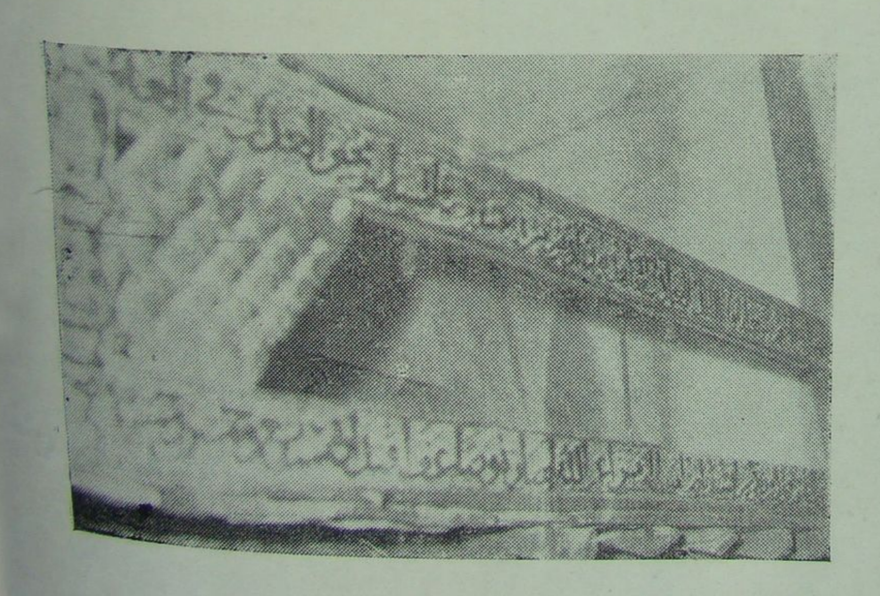
صورة رقم (٤)

منظر اللوحة الكتابية بالعربية من عهد نور الدين



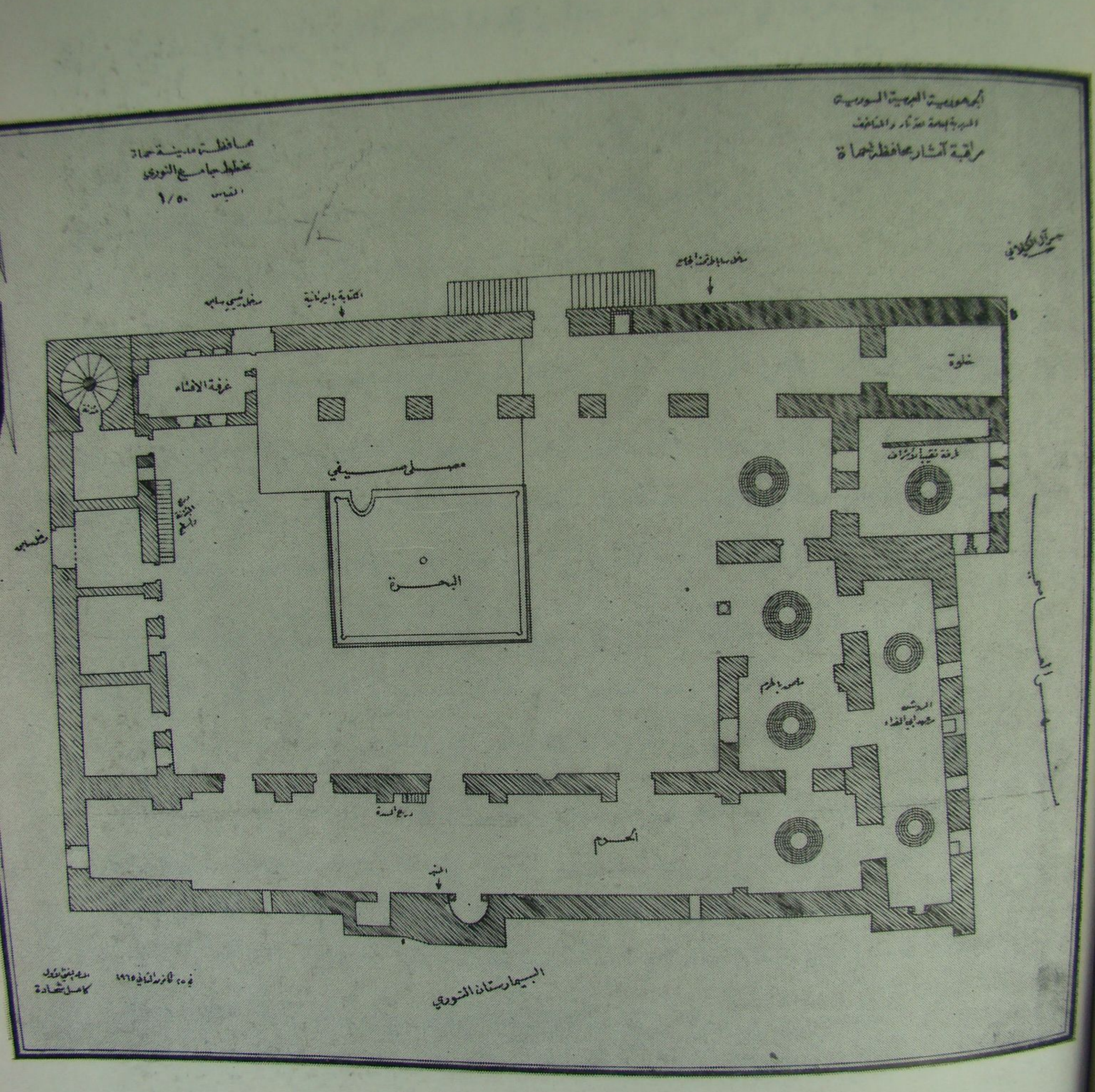
صورة رقم (٥)

الكتابة اليونانية بواجهة الجامع الشمالية



صورة رقم (٦)

منظر كتابات احدى جانبي المنبر الموضوع كحاجز للسدة فى الحرم



مخطط الجامع النوري في مدينة حماة

لوحة خشبية منفردة في صدر المنبر، غنية بزخارفها النباتية المحورة التي تشكل ما يشبه محراباً في وسطه سطران من الكتابة نصهما:

(لا إلــه إلا الله محمد رســول الله)

والمنبر من الأمام والجانبين ثلاثة بويبات متشابهة أقواسها ذات حنيات مزدوجة. وفي جانبي المنبر لوحتان مستطيلتان بعدا كل منهما (٦٠ × ٤٠ سم) تتألفان من صفوف ذات أشكال مثمنة لها أضلاع اسطوانية وهي تضم بين حناياها قرصاً بارزاً نصف كروي، وبين كل شكل وشكل آخر نجم رباعي الرؤوس تشغل سطحه خيوط نباتية محورة بارزة.

وثمة شريط كتابي يحيط بالمنبر من الأعلى من وجهاته الثلاث وهو غني بعروقه وأوراقه النباتية، المنحنية والملتوية تبرز جميعاً على أساس منخفض جدا، وتتوضع فوق الزخارف النباتية المذكورة زخارف كتابية قرآنية أكثر بروزا. وتعلو المنبر قبة عادية نصف بيضية.

وأما السدة فهي مستطيلة الشكل يحف بها من الأمام والجانبين حواجز مصنوعة من خشب الأبنوس وقد كانت في الأصل تؤلف جانبي درج المنبر الموصوف آنفا. وفي كل جانب شريط مزخرف بزخارف نباتية وكتابية بارزة لا تقل غنى عن زخارف المنبر إن لم تكن أغنى.

وأما المحراب فعميق التجويف مزخرف السقف من الأمام بشرائط رخامية ملونة عريضة منحنية تفصلها خيوط رخامية رفيعة. وعلى جانبيه عمودان رخاميان مضلعان رشيقان لهما تاجان كورانثيان تشغل مساحتيهما خطوط متكسرة، وفي أعلاهما زخارف كتابية على أساس منخفض قليلاً، وفي أسفلهما قاعدتان منقوشتان بزخارف نباتية وحيوانية منحوتة.

هـ - مئذنته: وهي مئذنة مربعة القاعدة ضلعها (٤،٢٥ م) تدعم بناءها الداخلي أعمدة روابط اسطوانية. وتبرز في جذعها حطتان تتناوب فيهما أحجار سود وبيض بحيث تشكل زخارف هندسية وجدائل جميلة. وتزين أعلى المئذنة من جوانبها الأربعة محـاريب كبيرة يلي بعضها (انظر الصورة رقم ١).

٣ _ تاريخ الجامع عبر العصور :

ابتنى نور الدين الشهيد جامعه في سنة ٥٥٨ هـ — ١١٦٣ م كما تدل على ذلك الكتابة المنقوشة (١) على الوجهة الشمالية . ولقد تعرض بناء الجامع جميعه لأحداث عديدة أدخلت عليه اصلاحات وتعديلات شاملة ، فقد بقي من عهد المرحوم نور الدين ما يلي :

آ _ بعض أقسام الوجهة الشمالية والمدخل الغربي .

ب _ المنبر والسدة والمحراب .

جـ _ الرواق الشرقي .

أما المئذنة فقاعدتها من عهد نور الدين ، وأما أقسامها الأخرى والرواقان الشمالي والغربي فإن تاريخها يرقى إلى عهد المماليك كما تدل على ذلك الكتابة المزبورة (٢) على ساكف مدخل الجامع الحالي .

ويعود تاريخ الحرم الحالي الممتد شرقاً وغرباً الى عهد المماليك . أما الحرم الملحق المسمى (الروشن) فقد ابتناه الملك المؤيد أبو الفداء صاحب حماة كما مر آنفاً . وتدل الروايات المكتوبة على أن تيمورلنك لما فتح حماه وضع في جدار الحرم الجنوبي الشرقي لوحة رخامية بالفارسية إليكم ترجمتها :

« سبب تصوير هذا التسطير هو أن الله تعالى يسر لنا فتح البلاد والممالك حتى انتهى استخلاصنا الممالك إلى العراق وبغداد فجاورنا سلطان مصر ثم راسلناه وبعثنا إليه قصادنا بأنواع التحف والهدايا فقتل قصادنا من غير موجب لذلك وكان قصدنا بذلك أن نعقد المودة بين الجانبين وتتأكد الصداقة بين الطرفين ثم بعد ذلك بمدة قبض التراكمة على ناس من جهتنا وأرسلهم إلى سلطان مصر برقوق فسجنهم وضيق عليهم فلزم من هذا أنا توجهنا لاستخلاص

---

(١) سنورد نص هذه الكتابة بعد قليل .

(٢) سنذكر نصها فيما بعد أيضاً .

متعلقينا من أيدي مخالفينا واتفق لذلك نزولنـــا بحماة في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانمائة »[١] .

ولقد تعرض الجامع أكثر من مرة للتصدع والتخريب فقامت فيه ترميمات واصلاحات نذكر منها الترميم[٢] الذي جرى في شهر شوال سنة ١٠٢٥ هـ على حساب الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الكيلاني[٣] وبولاية السيد أحمد بن الحاج محمد بن الكريدي .

وقد تناول الترميم منارة الجامع من أعلاها وأسفلها ، وتكليس جدران الجامع من الداخل والخارج ، وبناء (الخلوة) والمراحيض . وقد كلف ذلك الترميم ١٢٠ قرشاً كبيراً فضياً .

فضلاً عن بناء جديد فوق الجانب الشمالي من الرواق الشمالي ، يسمى (التكية القادرية) . ابتناه السيد محمد المرتضى بن السيد محمد نجيب الأزهري الكيلاني في عام ١٣١٧ هـ يصعد اليه بدرج حجري معلق بوجهة الجامع الشمالية . وقوام هذه التكية ثلاث غرف احداهـا غربية والأخريان شرقيتان . وقد أعدت هذه التكية لتكون مثوى للغرباء والفقراء والمارين في حماة وقد أرخ بناءها أحد الشعراء بخمسة أبيات ، مطلقاً عليها اسم (رباط) وجاء في البيت الأخير :

فأرخ علا الآفاق زهواً بأنه　　جوار بيت الله أبهى المحافل　١٣١٧ هـ

ولكن هذه التكية والدكاكين التي تحتها ، قد أزيلت حالياً اظهـاراً لهذه الآبدة الأثرية . ولا تزال آثار درجها بادية للعيان حتى الآن .

---

(١) راجع ابن عربشاه في عجائب المقدور في نوائب تيمور ومنهـا نسخة مخطوطة مترجمة لدى البحاثة الأستاذ قدري كيلاني . وراجع أيضاً ابن حجر العسقلاني في (أنباء الغمر بأبناء العمر) المخطوط والموجود في المكتبة العثمانية بحلب تحت رقم ٢٣٧ ، جـ ١ ص ٢١٦ .

ويقتضي المقام هنا أن نشكر المؤرخ الأستاذ قدري الكيلاني على تلطفه بلفت انتباهنا إلى هذا النص المستخلص من تاريخه المعد للطبع .

(٢) راجع المجلد ٣٢ من سجلات المحـكمة الشرعية المحفوظ في متحف حماة .

(٣) أطلعني عليه الأستاذ قدري الكيلاني المذكور .

٤ ــ كتابات الجامع

يمكن تقسيم هذه الكتابات الى قسمين رئيسيين :

آ ـ كتابات الوجهة الشمالية .

ب ـ كتابات الحرم .

آ ـ أما كتابات الوجهة الشمالية (أنظر الصورة رقم ٤) فتتألف من ثلاث لوحات كتابية ذات أهمية أثرية وتاريخية :

(١) أولاها مستطيلة الشكل بعداها (٧٦٥ × ٦٠) س م تنخفض عن مستوى الوجهة قليلاً ويحيط بها اطار مؤلف من حلقات صغيرة متسلسلة فضلا عن شريط عريض تشغل مساحته عروق وخيوط نباتية تتخللها أوراق نباتية محورة . أما الكتابة نفسها فقد انتظمت في سطرين كبيرين نافرين ، وسطرين آخرين صغيرين نافرين أيضاً واليكم نص هذه الكتابة :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله (١) أمر بعمل هذا الجامع المبارك مولانا الملك العادل العالم العارف الزاهد المجاهد نور الدين ركن الاسلام والمسلمين محي العدل في العالمين نصير الحق بالبراهين .

٢ ـ قسيم الدولة القاهرة عين الملة الزاهرة مجير الأمة الباهرة حافظ الثغور غياث الجمهور قاهر المتمردين قاتل الكفرة والمشركين منصف المظلومين من الظالمين أبو القسم محمود بن زنكي بن أقسنقر ناصر أمير المؤمنين في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة .

٣ ـ على يد وليته خسرو بن تلبك بن سلام الهذباني .

٤ ـ صنعة عبد الله . نقش بن أبي القاسم الملّي رحمه الله .

---

(١) وقع تشويه على البسمله والهيللة والصلعمة اثناء ما كانت دكاكين ملتصقة بالوجهة وتتسرب اليها الأقذار من شاغلي السطح فعمد إلى إزالة الكتابة تجنباً للخطأ .

(٢) وثانيتها مزبورة على ساكف المدخل الحالي تتألف من ثلاثة أسطر بالخط النسخي النافر، ونصها كما يلي:

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم لما كان بتاريخ ثالث عشر من ربيع الآخر سنة ثمانين وسبعمائة برز المرسوم الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي المنصوري العلائي ...

٢ ـ أن يبقى العلم الشريف وطلبته بالمملكة الحموية المحروسة مما استجد على أوقافهم في كل سنة وهو خمسة عشر الف درهم الذي كانوا يحملوها للديوان المعمور بحماة المحروسة استجلاباً لأدعيتهم الصالحة عقب الصلوات وأن ينظر في احالهم وكان السؤال .

٣ ـ ذلك في أيام المقر الأشرف العالي المولوي السيدي المالكي المخدومي الكافلي كمشبغا[1] المنصوري كافل المملكة الحموية الشريفة أعز الله أنصاره وذلك بتاريخ ثالث عشر جمادى الأولى سنة (ثمانمائة) .

(٣) أما اللوحة الثالثة (أنظر الصورة ٥) فقد كتبت باليونانية حفراً وتتألف من أربعة وثلاثين سطراً زبرت على حجر كلسي واحد موضوع بشكل عرضاني على ارتفاع ١٨٠ سم فوق الأرض إلى جانب الباب الأصلي المسدود وتحت اللوحة الأولى .

وقد ظهرت هذه الكتابة حديثاً حين أزالت البلدية الدكاكين التي كانت ملصقة بالوجهة الشمالية هذه كما ذكرنا آنفاً ولقد كشفت ونسخت من قبلنا وتمت ترجمتها بعد ذلك بجهود المديرية العامة للآثار والمتاحف وبمسعى العالم الأثري جورج تشالنكو ، ونشرت ترجمتها الى الفرنسية في مجلة (سورية syrie في العدد ٣٤ سنة ١٩٥٧) التي تصدر في باريس وها كم نص ترجمتها الى العربية :

« خلاصة أوامر الامبراطور دوميسيان [2] قيصر بن اوغست المبجل الموجهة الى الوالي كليوديوس آتينادور » .

---

(١) « كمشبغا » الحموي اليلبغاوي اشتراه ابن صاحب حماة وهو صغير فرباه ثم قدم للناصر حسن ثم أخذه يلبغا العمري الحسني بعد قتله وصيره رأس نوبة عنده ، غضب عليه الظاهر في أول سنة ثمانمائة واعتقله باسكندرية حتى مات في أواخر رمضان سنة إحدى وثمانمائة وكان شكلاً حسناً مهاباً عالي الهمة مدبراً محمود السيرة في ولاياته في سنة ٨٠١ هـ توفي الأمير سيف الدين كمشبغا الحموي وهو من عتقاء الأمير يلبغا الخاصكي العمري وكان عالي المنزلة عنده واستقر به أمير أربعين بالقاهرة وكان أكبر رؤوس النوب عنده ثم أخرج بعد وفاته إلى حلب فأقام بها بطالاً إلى أيام الملك الظاهر برقوق فولاه نيابة السلطنة ونقله بين صفد وحماة وطرابلس ودمشق وحلب الخ ... (الضوء اللامع) للسخاوي ج ٦ ص ٢٣٠ .

(٢) دوميسيان (٥١ ـ ٩٦) امبراطور روماني كان آخر القياصرة وهو ابن فسباسيانوس وأخو تيطوس استبد بحكمه (المنجد ص ٢٠١) .

بين القضايا المهمة التي تستدعي انتباهاً كبيراً هو انني اعرف ان والدي العظيم فاسبازيان قيصروجه اهتمامه إلى اعفاءات المدن وكان ذلك على اعتبار ان هذه الفوائد التي دافع عنها تثقل كاهل المقاطعات سواء بإكراء حيوانات الركوب إو بأعباء المسكن ومع ذلك سواء كان هذا منه على قبيل المجاملة أو عدمها ، فإنه قد حصل نقص لهذه الأحكام لم يلاحظ ذلك سابقاً ، ولكنه بقي في الحقيقة حتى يومنا عادة قديمة لاحقة ستصبح شيئاً فشيئاً قاعدة إذا لم يمنعوها بحزم من أن تتقوى .

أصدر أمري إليك أيضاً بأن توجه عنايتك بأنه من المحظور على أي شخص أن يأخذ دابة ركوب بدون أن يكون مزوداً بإجازتي ، لأنه ليس من العدل حقاً أن يكون ينقل عدد من الأشخاص أو بناء على طلباتهم ان توجد اذون مسجلة تنص على انه لا أحد يستطيع أن يمنح موافقته سواي يجب أن لا يوجد البتة من في المستقبل يبطل أمري أو يلاشي التدبير النافع للسكان من العدل في الحقيقة مساعدة الولايات الفقيرة التي تجد مشقة في إكفاء نفسها الضروريات الأولية ، وألا يُلْجأ إلى العسف ضد مشيئتي ، وألا يكون هناك من يتخذ دليلاً (سائقاً) إلا من كان مجهزاً باذن مني ، لأنه إذا انتزع الفلاحون من الأراضي وبعثروا بقيت الحقول بورا غامرة ، أما أنت فإن انتفعت بحيواناتك الخاصة أو أجرت منها فإنك تحسن صنعا . اه ..

ولقد علق العالمان الفرنسيان (١) على هذه الترجمة بالإيضاحات الآتية :

يمكن تقسيم النص السابق هكذا .

١ ـ العنوان (١ — ٥) خلاصة أوامر دوميسيان إلى الحاكم كليوديوس آتينودوروس .

٢ ـ تنبيه بالظروف التاريخية (سطر من ٥ ـ ١٢) هذا الأمر يتسجل في قائمة الأنظمة المعمول بها سابقاً من قبل فاسبازيان بفضل مدن الامبراطورية بمعرض ذكر (Cursus publicus) .

٣ ـ اعتبارات التنظيم الحاضر (سطر ١٣ — ١٧) . رغم هذه الأنظمة يوجد دائماً مخالفات

٤ ـ ايضاح عن النظام الجديد (١٧ — ٣٠) يجب الملاحظة هنا عن التطبيق الثلاثي للبيان مع مطابقة واضحة جداً في الأسلوب .

آ — دفاع موجز عن استعمال حيوانات الركوب بدون اذن امبراطوري ، والسبب هو انه من الخطأ الفادح جداً الحصول بطريقة مخالفة على أذون تكون غير أذون الامبراطور (سطر ١٧-٢١) .

---

(١) وهما : René Mouterde et Claude Mondésert

ب — أمر عام وملزم بأخذ هذا الدفاع بعين الاعتبار واحترام الأملاك الخاصة في المقاطعات بسبب نقصها الكبير (سطر ٢١ — ٢٧) .

ج — دفاع دقيق عن عدم أخذ القائمين بخدمة الركاب أو السائقين للاجازة الامبراطورية والسبب هو تنظيم الزراعة (سطر ٢٧ — ٣٠) .

د — أوامر خاصة تتعلق بالوالي ... هنا مع الأسف النص ناقص وغير كامل (سطر ٣٠)

من المؤسف جداً أن تكون السطور الأخيرة مشوهة تماماً بحيث لا نعرف أن نستخلص أي قراءة مؤكدة ، وهذه السطور تذكر بدون ريب أشياء دقيقة مفيدة عن السلوك الإداري للحاكم في تطبيق خدمات (Cursus publicus) التي تقوم بها . ومن أجل بقية النص فإن كتابة حماة تتفق تماماً مع ما نعرف عن هذا القانون مثل المخالفات التي يمكن افساح المجال بها . وفضلاً عن ذلك نؤيد هذه الكتابة ما كنا نعرفه سابقاً عن ادارة دوميسيان الصالحة وخاصة الادارة التي كان يمارسها تجاه المقاطعات ، إذ كان همه أن يحمي وينظم الزراعة في قوانينه الحازمة والصريحة إلى موظفيه .

يبدو ان هذه اللوحة الكتابية التاريخية كانت في بناء من الأبنية الرئيسية المتهدمة ، وان المهتمين في بناء هذا الجامع أدركوا قيمة هذه الكتابة الأثرية فحفظوها في بنائه .

ب وأما كتابات الحرم فتوضع على المنبر والمحراب والروشن .

١ كتابات المنبر : « في أعلى المنبر بوزت الآية القرآنية التالية »(١) .

« تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار » .

وفي صدر المنبر أيضاً الكتابة الآتية فى سطرين .

لا إله إلا الله

محمد رسول الله

وثمة كتابات جانبي درج المنبر التزيينية ، اللذين قد استخدما منذ وقت غير معلوم ، كحواجز للسدة مقابل المنبر فوق المدخل ، ونص كتابة الجانب الأول :

بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمله مولانا الملك العادل المجاهد نور الدين ركن الإسلام والمسلمين محي العدل في العالمين نصير الحق بالبراهين منصف المظلومين من الظالمين أبو القاسم محمود ابن زنكي بن آق سنقر ناصر أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره سنة تسع وخمسين وخمسماية .

---

(١) سورة الفرقان ٦٣ .

أما نص كتابة الجانب الثاني فهو :

بسم الله الرحمن الرحيم امر بعمله ابتغاء رضوان الله ورغبة في ثوابه العبد الفقير إلى رحمة الله الخاضع لهيبته المرشد إلى سبيله المجاهد لأعداء دينه أبو القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر ناصر أمير المؤمنين ضاعف الله أجره وثوابه وأكرم منقلبه ومآله في سنة تسع وخمسين وخمس ماية (انظر الصورة رقم ٦) .

٢ ـ كتابات المحراب : وهي توجد على تاجي عمودي المحراب .

فعلى التاج الأيمن كتب « أمر بعمل هذه الدار المباركة

وعلى التاج الأيسر كتب « نور الدين محمود بن السلطان الملك

٣ ـ كتابات الروشن : « وهي أيضاً تتوضع على تاجي عمودي محراب الروشن الرخاميين :

فقد كتب على التاج الأيمن : « أمر بعمارة هذا الروشن المبارك مولانا السلطان الملك المؤيد » .

وعلى التاج الأيسر كتب : « عماد الدنيا والدين ابن مولانا الملك الأفضل صاحب حماة خلد الله ملكه » .

هذا فضلاً عن آية قرآنية منقوصة بقي منها « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم » (١) .

وهي على لوحة رخامية تتوسط وجهة الحرم الداخلية ، مما يدل على ان ثمة شريطاً كتابياً يتضمن آيات قرآنية وتاريخ البناء ، كان يحف بوجهات الحرم ، كما هي الحال في جامع أبي الفداء وغيره وقد فقد .

خاتمة : تلكم خطوط بارزة عن الجامع النوري بحماة لم توفه حقه من البحث والتدقيق ولكنها تضع النقاط على الحروف وتمهد لدراسته في المستقبل دراسة أوسع وأعمق .

ويتبين مما ذكرنا قيمة هـذا الجامع الأثرية والتاريخية ، واهمية الكتابات العربية واليونانية والفارسية المنقوشة على جدره وواجهاته ومنبره وعمده ؛ وفضلاً عن ذلك فإن لهذا الجامع أهمية علمية كبرى ، فقد كان معهداً علمياً ودينياً كما تدل الكتابة المزبورة على وجهته الشمالية . تخرج فيه كبار العلماء كالشيخ سعيد النعسان مفتي حماة الحالي ، والشيخ طاهر النعسان والشهيد الدكتور صالح قنباز والشيخ بدر الدين الكيلاني ، أول محافظ لحماه عقب جلاء الأتراك ، وغيرهم .

كما اتخذ العلامة الشيخ طاهر الجزائري هذا الجامع مثوى له ومقرا .

المساعد الفني الأول
كامل شحادة

---

(١) سورة التوبة ٢٦ .